المحاضرة الخامسة:

الأسباب و العوامل المؤدية لتعاطي المخدرات : التعرض لمختلف الأسباب النفسية و الاجتماعية، الاقتصادية و الثقافية التي تدفع بالفرد للإقبال على المخدرات.

تمهيد:

يمكن إرجاع تعاطي المخدرات إلى الكثير من الأسباب و العوامل، هذه الأسباب ليست متشابهة في كل الحالات، فالأسباب تختلف باختلاف الأشخاص و الجماعات و المجتمعات حتى أنه داخل نفس المجتمع نجد الاختلافات و التفاوتات بين المجتمعات المحلية، ومن فترة زمنية لأخرى في نفس المجتمع.

الأغلب أن معظم الدراسات تؤكد على تظافر عدة عوامل سلبية أو عاملين على الأقل يتسببان في حدوث تعاطي المخدرات. و مما يتفق عليه الباحثين و المختصين في المجال حول أهم العوامل و الأسباب الرئيسية المؤدية للتعاطي على المخدرات نجد:

1/- طبيعة المخدر ووجوده في المجتمع:

يعد وجود المادة المخدرة ركنا أساسيا من أركان عملية التعاطي، فلن يتمكن الفرد من ممارسة الإدمان على تعاطي سلعة هي غير متواجدة بالأساس، ولا يعرف عنها شيئا.

وهو ما يفسر لنا كثرة التعاطي و الإدمان على المخدرات في الأوساط و البلدان التي تكثر فيها زراعة المخدرات وكذا البلدان المجاورة لها وبالخصوص المناطق و البلدان الحدودية.

كذلك تنتشر ظاهرة الإقبال و الإدمان على المخدرات عند:

- توفر المادة المخدرة وسهولة الحصول عليها، مما يجعل سعرها في متناول اليد لتتسع الفرصة للإقبال و التعاطي و الإدمان.
- طريقة تعاطي المخدرات مثل التعاطي بالفم أو الاستنشاق "الشم"، بالتالي يسهل الإدمان عليها. بينما يقلل استخدامها عن طريق الحقن من فرص الإدمان.
- أيضا عدد أو مرات التعاطي إذا كانت موسمية أو متعلقة بمناسبات اجتماعية مثلا أو الاعتماد و التكرار اليومي.....

- الخواص الكيميائية و البيولوجية للمخدر، فقد ثبت علميا أن لكل مخدر خصائصه وتأثيراته المختلفة في الإنسان، فقد تبين أنه لكل فرد تفضيل وتوافق لنوع معين عن الأنواع الأخرى ليتم المواظبة عليه وإدمانه. وكذا تناسبه مع شخصيته حتى قيل أن الشخص يبحث عن عقار مخدر موافق لمزاجه و معدل له.(الأصفر، 2012: 140، 141).

2/- العوامل النفسية:

للعوامل النفسية الحصة الأكبر و الأهم في تفشي تعاطي المخدرات و الادمان عليها.

فقد بينت دراسات نفسية معاصرة أنه يوجد بعد أساسي من أبعاد الشخصية يطلق عليه "تسمية بنية الإدمان"، مكون من مثلث الذهانية و العصابية و الانطواء يمكن أن يساهم في التنبؤ باستعمال المخدرات و الكحول لدى المراهقين، وهو ما يوافق دراسة وتصورات "آيزنك" عن تأثير أبعاد الشخصية في تكوين بعض الاضطرابات النفسية.

فسوء استخدام المواد المهلوسة يرتبط بدلالة إحصائية بمستويات أعلى من العصابية و الذهانية، كما ترى هته الدراسة أن الانغماس في استخدام الماريخوانا يرتبط بدرجات مرتفعة من القلق و العصابية و الذهانية. (الأصفر، 2012: 145).

يمكن أن نجمل أهم العوامل النفسية المسببة والمؤدية للتعاطي إلى:

- محاولة التخفيف من الضغوطات والتوترات النفسية. خاصة مشاعر القلق و الخوف من بعض المواقف الاجتماعية.
- حب المغامرة والتهور و الاندفاعية، كذلك من أجل التمتع واكتساب الخبرات التي يروي عنا الأصدقاء و الزملاء.
- امكانية التحرر من القيود النفسية التي تفرضها مواقف معينة تشكلا حملا كبيرا على الشباب في علاقاتهم الاجتماعية مع الآخرين، فيكون ذلك من خلال تعاطي المخدارت.
- محاولة اثبات الذات ومعارضة الوالدين أو المسؤولين أو ممن لهم علاقة بالفرد المتعاطي.
- محاولة الهروب من الواقع وعدم القدرة على مجابهة المشاكل النفسية و الاجتماعية المعقدة.
- عدم القدرة على التوازن في تأمين احتياجات الفرد أو كبتها يقود نحو مخاطر مهددة لحياته.
- يعاني المدمنون من الشعور بعدم الأمن و الطمأنينة الانفعالية، فكما سبق وذكرنا يكون المدمن أكثر عصابية وميلا للذهان أو الانحراف السيكوباتي.(الأصفر، 2012: 155).
- انعدام الكفاءة الاجتماعية، النظرة التشاؤمية، الميل نحو الانعزال والشعور بالإكتئاب...إلخ.

إذن للشخصية دور كبير في الاتجاه نحو التعاطي و الإدمان، بصفة عامة الشخصية الضعيفة غير المتوازنة أو غير الناضجة، الهشة كلها تقود نحو الانحراف، في هذا الصدد يرى"E.Jellinek" جليناك"، أن سبب الإدمان هو عدم تكامل بناء شخصية الفرد، حيث يكون الشخص غير متهيئا لحل المشاكل التي تواجهه في الحياة بصورة طبيعية، فيرى أنه كلما ضعفت الشخصية كلما زاد الاتجاه للتعاطي، حيث يجد الراحة النفسية، و النسيان لتلك المشاكل.(البريثن، 2014: 93).

كما نجد أنه وباتفاق معظم علماء النفس و علماء الاجتماع على أن الإدمان يكون أكثر انتشارا بين أربع أنواع من الشخصيات هي:

الشخصية الاكتئابية، الشخصية الرهابية أو المتخوفة، الشخصية المضغوطة أو القلقة أو المهمومة، وأخيرا الشخصية السيكوباتية.(أبو النصر، 24،2016:23).

دورالأسرة:

للأسرة دور كبير في تشكيل شخصية الأبناء، والتقصير في أدوارها حتما يعتبر من أهم الأسباب المباشرة التي تقود نحو تعاطي المخدرات أو الانحراف بشكل عام. إذن، الاضطراب الأسري، والخلافات الأسرية العنيفة، وتعاطي الأبوين أو أحدهما للمخدرات، وضعف الرقابة الأسرية، وانعدام الضبط الأسري، تمثل صورا قد تدفع بشكل أو بآخر إلى تعاطي المخدرات.

وقد أثبتت دراسات عديدة، بأن وجود شخص في الأسرة يتعاطى المخدرات يرجح انخراط شخص آخر في التعاطي، إما تقليدا للشخص الأكبر، أو بتشجيع، أو حتى تغاض منه، أو يكون الترجيح عائدا إلى حالة التشابه في الظروف الداعية إلى التعاطي.

- تفكك الأسرة من خلال انحلال الروابط العائلية.
- ضعف التوازن في أساليب التربية السليمة.
- التدليل الزائد للأبناء من قبل الأسرة.
- المعاملة السيئة للأبناء أو الإهمال الأسري، وغياب الرقابة الوالدية
- تدني المستوى المعيشي و السكني.
- غياب القدوة الحسنة.
- ازدياد مشاكل الحياة وتعقدها.
- ظاهرة استخدام مربيات وخادمات.في البيوت، وخصوصا الخادمات الأجنبيات، بسبب خروج المرأة إلى ميدان عمل، والتوسع في تعليم الإناث.

عوامل راجعة للمجتمع :

دور الأصدقاء:

جماعة الرفاق لها تأثير فاعل في شخصية كل عضو من أعضاء الجماعة، وتمثل جامعة الرفاق بيئة اجتماعية صغيرة تؤثر بشكل ما على شخصية كل فرد و عن طريق التفاعل مع جماعة الرفاق تنتقل الأفكار وتتعلم السلوكيات سواء كانت إيجابية أم سلبية كالتدخين وتعاطي المخدرات، وقد أثبتت دراسات عديدة بأن بداية تعاطي المخدرات بين الشباب كان بدعوة صديق، أو محاباة لجماعات الرفاق.

وقت الفراغ:

وقت الفراغ من بين العوامل المؤدية بالشباب الأفراد نحو الإدمان ونحو الانحراف بصفة عامة، خصوصا و ان تعطيل مثل هذه الأوقات يدفع للضجر و الملل والسأم و الشعور بالاغتراب مما يدفع بالفرد لملء هذا الوقت بأي عمل كان، خصوصا لدى فئة الشباب التي تمتاز بالنشاط و الحيوية، وتبحث عن الجديد و الرفاهية.(البريثن، 2014: 95).

- شيوع أماكن اللهو والحرام كالملاهي الليلية و الحفلات الليلية الجريئة، أماكن تقديم الخمور و المخدرات.
- توفر مواد الإدمان عن طريق المهربين و المروجين والمستوردين.
- غياب أماكن الترفيه.
- الإقامة خارج البلاد، أو حتى الإقامة القصيرة المدى من أجل العمل أو التجارة، خصوصا الطلبة أو الأفراد الذين يتوجهون إلى بلدان غربية من أجل الدراسة، ليتعلمو التعاطي، في أوقات خارج أوقات الدراسة، لأسباب أو لأخرى و كنتيجة لأسباب الاغتراب والهروب، و من أجل القدرة على التحمل والمواجهة مثلا.
- سهولة الحصول على مواد الإدمان، فتوجد بيئات تنتشر فيها المخدرات أو تزرع أو تصنع فيها ينتشر فيها تعاطي المخدرات بشكل كبير.
- كذلك موقف المجتمع من المخدرات وتعاطيها، فقد يكون المخدر جزءا من ثقافة المجتمع كانتشار نوع معين من المخدرات في أوساطه، بين فئات المجتمع. على الأقل مجتمعنا العربي أقل نسبة من المجتمعات الأخرى.
- ضعف دور المؤسسات المجتمعية كالمدرسة و الإعلام والمسجد في مواجهة مشكلة تعاطي و إدمان المخدرات.(أبو النصر، 2016: 35).
- الإقامة في مناطق عشوائية وغير مخططة تعاني من نقص الخدمات وضعف الأمن.
- الغزو الفكري و الثقافي.

وسائل الاعلام:

نجد على الأغلب ارتباط وسائل الإعلام بوقت الفراغ، لهذا قد تكون هذه الوسيلة عامل محفز و مشجع على الفساد و الفجور والرذيلة، فلنحظ ما يتم تداوله اليوم على شاشات التلفاز و الهواتف من تعليم الأفراد كيفية التمرد و العصيان، وتعلم السلوكات الانحرافية سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، كذلك، تعليم تهريب المخدرات و الاتجار بها، أو تعاطيها، وما تحدثه من أثر بطريقة مشوقة، تدعوا بشكل ما إلى التجربة و الاستكشاف.

ظروف العمل:

قد يكون لطبيعة العمل أو الوظيفة دخلا مباشرا أو غير مباشر في التشجيع على التعاطي و الإدمان، حيث يسهم هذا العامل في اعتماد المخدرات من خلال طبيعة العمل، متطلباته، أو الجو الوظيفي، أو البيئة الوظيفية التي هي مكان العمل.

كالذي يتطلب عمله السهر المتواصل، أو السفر الدائم، أو العمل الشاق المجهد، أو الذي يعمل في شركة لتصنيع الخمور أو العقاقير، من يعملون في الملاهي الليلية، أو مقاهي الخمور خصوصا في البلدان الغربية أو ماشابهها.

ضعف الوازع الديني:

يشكل الوازع الديني عاملا أساسيا من عوامل ضبط سلوك الأفراد وتعاملهم. فنتيجة للتقدم والتطور الحضاري السريع، وكذا الرغبة والتسابق وراء متطلبات الحياة وحاجيتها، كذلك تقصير المسافات، وإزالة الحدود الطبيعية بين البلدان، من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، و وسائل الإعلام والاتصال. كل هذا ساهم في ضعف الوازع الديني، الذي يقي من المحرمات والانحرافات، ويؤدي إلى اهتزاز القيم الدينية عند الفرد، وابتعاده، عن الأخلاق، و أوامر الشريعة الإسلامية.

فإذا لم يمتلئ قلب المؤمن بالإيمان وعدم الخوف من العقاب، فإن قلبه سينصرف إلى المحرمات التي يأخذها بشكل متدرج.

رسوخ مفاهيم خاطئة:

توجد أنواع معينة من المخدرات لأهداف معينة، كأغراض صحية وهمية أولهم زيادة القدرة والنشاط الجنسي، أو للهروب من الواقع الصعب و المرير، زيادة النشوة و النسيان، أو لغير ذلك من الأسباب الوهمية المضللة للأفراد وغير المستندة على أسس وحقائق علمية.

إذن كان ماسبق عرضه من أهم العوامل و الأسباب التي تحرض وقد تقود للتعاطي ولإدمان المخدرات.

ينبغي التطرق لأهم نقطة أساسية تتمثل في التعاطي لأي عقار كان لدواعي طبية مشروعة، ولمدة طويلة تفوق مدة العلاج كما في حالات معالجة آلام السرطانات وكسور العظام، الآلام المزمنة و الحادة، أيضا كما في حالات المرض النفسي و العقلي من خلال اعتماد العقاقير.

خاتمة:

فقد تتظافر عدة عوامل كما سبق و أشرنا أعلاه سوآءا تعلق الأمر بالعوامل النفسية، الشخصية، الأسرية، الاجتماعية، الاقتصادية و السياسية...إلخ، لتصل في النهاية لهذا المسار، وأحيانا أخرى يكفي تواجد عامل واحد أو عاملين ليقود نحو تجريب المخدرات، التعاطي ثم الإدمان.